

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثالثة

طرق تحصيل الأخلاق الحسنة

الطريق الأول: أخلاق فطر الشخص عليها ، فهي هبة من الله تعالى .
الطريق الثاني: أخلاق مكتسبة ، تكون من تطبع الشخص وتعويد نفسه عليها ،
وقد جاء في حديث أشجَّ عبد القيس قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
"إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ" قُلْتُ: وما هما يا رسول الله؟ قال: "الْحِلْمُ
وَالحَيَاءُ". قلت: قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا؟ قال: "قَدِيمًا". قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَّلَنِي
عَلَى خُلُقَيْنِ أَحَبَّهُمَا اللَّهُ". فهذا دليل على أن الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون
طبعًا وتكون تطبعًا، ولكن الطبع -بلا شك- أحسن من التطبع؛ لأن الخلق
الحسن إذا كان طبيعيًا صار سجيّة للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته
إلى تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله
يؤتيه من يشاء، ومن حُرْم -أي حُرْم الخلق عن سبيل الطبع- فإنه يمكنه أن
يناله عن سبيل التطبع، وذلك بالمرونة والممارسة.

قال الشاعر منقر بن فروة:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
فَاجْعَلْ

وقال أبو تمام:

فَلَمْ أَجِدِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا تَخَلُّفًا
وَلَمْ أَجِدِ الْإِفْضَالَ إِلَّا تَفَضُّلًا

أسباب تغيير الأخلاق الحسنة

قال الماوردي رحمه الله:

"رُبَّمَا تَغَيَّرَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْوِطَاءُ إِلَى الشَّرَاسَةِ وَالْبِدَاءِ؛ لِأَسْبَابٍ عَارِضَةٍ،
وَأُمُورٍ طَارِئَةٍ، تَجْعَلُ اللَّيْنَ خُسُونَةً، وَالْوِطَاءَ غِلْظَةً، وَالطَّلَاقَةَ عُبُوسًا.

فمن أسباب ذلك: الولاية: التي تُحدثُ في الأخلاقِ تغيُّرًا، وعلى الخُلطاءِ
تَنَكُّرًا، إما من لَوْمِ طَبَعٍ، وإما من ضيقِ صَدْرٍ.

ومنها: العزل؛ فقد يسوءُ به الخُلُقُ، ويضيقُ به الصدرُ؛ إما لشِدَّةِ أَسْفٍ أَوْ لِقَلَّةِ
صَبْرِ.

ومنها: الغنى؛ فقد تتغيَّرُ به أَخْلَاقُ اللَّئِيمِ بَطْرًا، وتَسُوءُ طَرَائِقُهُ أَشْرًا.

ومنها: الفقر؛ فقد يتغيَّرُ به الخُلُقُ إما أَنْفَةً مِنْ دُلِّ الْإِسْتِكَانَةِ أَوْ أَسْفًا عَلَى فَائِتِ
الْغِنَى.

ومنها: الهموم التي تُذهلُ اللَّبَّ، وتشغلُ القلبَ، فلا تتبعُ الاحتمالَ، ولا تقوى على صَبْرٍ، وقد قيل: الهمُّ كَالسُّمِّ. ومنها: الأمراضُ التي يتغيَّرُ بها الطَّبَعُ ما يتغيَّرُ بها الجسمُ، فلا تبقى الأخلاقُ على اعتدالٍ، ولا يقدرُ معها على احتمالٍ.

ومنها عُتُوُّ السِّنِّ وحدثُ الهرمِ لتأثيره في آلةِ الجسدِ، كذلك يَكُونُ تأثيرُهُ في أخلاقِ النَّفْسِ، فكما يضعفُ الجسدُ عن احتمالِ ما كان يُطيقُهُ من أثقالٍ، فكذلك تعجزُ النَّفْسُ عن أثقالِ ما كانت تصبرُ عليه من مُخالفةِ الوفاقِ، ومضيقِ الشَّقَاقِ. فهذه سبعةُ أسبابٍ أحدثتُ سوءَ خُلُقٍ كان عامًّا. وهاهنا سببٌ خاصٌّ يحدثُ سوءَ خُلُقٍ خاصٍّ، وهو البغضُ الَّذِي تنفرُ منه النَّفْسُ، فتحدثُ نُفُورًا على المُبغضِ، فيؤوَلُ إلى سوءِ خُلُقٍ يَحُصُّهُ دونَ غيره. فإذا كان سوءُ الخُلُقِ حادثًا بسببِ، كان زوالُهُ مقرُونًا بزوالِ ذلكِ السَّبَبِ، ثُمَّ بالضدِّ."